﴿إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٢٤﴾ [يس: 24]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

تـوحـيـدُ الـلـه تعالى مِن عملِ العقلاء

لمّا أنكر الرّجل المؤمن على نفسِه أن يتّخذ آلهةً من دون الله تعالى، وقصد به التّعريضَ بالقوم المكّذبين: بيّنَ السّبب في إنكارِه، ليكون أثبتَ حجَّةً، وأظهرَ شهادةً، أي: إنَّه لو فعل، واتّخذ آلهةً لكان في ضلالٍ مبين، فيفيد أنَّ عدمَ الاتّخاذِ هو مِن فعل العقلاء النّاصحين لأنفسهم.

وأيضًا: لمّا جاء الاستفهامُ الإنكاريُّ في قولِه: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾: استأنف ما يُبينُ بعد ذلك عن فعل العقلاء النّاصحين لأنفسهم بقوله: ﴿إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ مُؤكِّدًا له بأنواع التّأكيدِ، لأجل إنكارهم له، بعدم رجوعهم عن معبوداتهم[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ضَلَٰلٖ﴾: أصلُ (ضلّ) يدلُّ على ضَياعِ الشَّيْءِ وذهابِهِ في غير حَقِّهِ[2]، والضَّلال: الغَيبوبَةُ والخَفاءُ والسَّتْرُ، يُقالُ: ضلَّ الماءُ في اللَّبن إذا غاب، وضلَّ الكافرُ: غابَ عَنِ الحُجَّة، وضلَّ النّاسي؛ إذا غابَ عَنهُ حِفْظُه[3]، والضَّلالُ أيضًا: الانحرافُ والميلُ عنِ الطَّريقِ، يُقالُ: ضلَّ فلانٌ يَضلُّ ضلالًا: إذا انحرفَ وضاعَ، ولم يهتدِ إلى الطَّريق، وضَلَلْتُ الشَّيْءَ أَضِلُّهُ: إذا جعلتَه في مَكان، ولم تَدْرِ أَين هوَ، وأَضْلَلْتُه، أَي: أَضَعْتَه[4]، وضِدُّه: الاهتداءُ، والاستقامةُ، والرَّشادُ، والمقصود بالضَّلالِ في الآيةِ: الضَّياعُ والخُسران.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 112.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ضلَّ).
(3) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن عباد، المحيط في اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (ضلَّ).
(4) الأزهري، تهذيب اللغة: (ضلَّ).

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يقول الرّجلُ المؤمن إنّي إنِ اتَّخذتُ آلهةً هذه صِفتُها لفي ضلال بيِّن؛ لا يخفَى على مَن له أدنى مُسْكةٍ مِن عقلٍ؛ فإنَّ إشراك مَن لا يخلُق وليس مِن شأنه النَّفعُ والضُّرُ، بمَن يخلُق وهو القادر على كلِّ شيءٍ: خطأٌ ظاهرٌ، وغلطٌ واضحٌ لدى أرباب الأحلام وذوي الحِجا[1].

مَن عبدَ غيرَ الله تعالى فهو في خُسْرانٍ ظاهِرٍ

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

فائدةُ الفصلِ في الآية:

جاء قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ على طريق الاستئناف البيانيّ؛ إذ إنَّ إنكارَ الاتِّخاذِ وتوابعَه مِن المعنى في الآية السّابقة: يُثير في النّفس سؤالًا عن نتيجة هذا الاتِّخاذِ لو كان، فكأنَّ سائلًا سأل عن ذلك، فكانت هذه الآية: ﴿إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ جوابًا عن ذلك.

ذِكْرُ مآلِ الشّرك لبيان عظيمِ خطرِه

فائدةُ تتابُعِ التّأكيدِ في الجملة:

أُكدّتِ الجملةُ ﴿إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ بمؤكّدين: (إنَّ)، واللّام؛ ليكون الكلام على طريق الخبر الإنكاريِّ؛ لأنَّ الرّجل يخاطب قومَه الذين اتّخذوا مِن دون الله آلهةً، فهم مُنكرون للتّوحيد والإيمان[2]، ويجوزُ أيضًا أن يكون التّوكيدُ صورةً لِوكادةِ معنى الجملة في نفسِ الرجل المؤمن؛ تصويرًا لحقيقة إيمانه بالله تعالى.

المؤمنُ الحقُّ هو المنفعِلُ بمعاني الهدى

دلالةُ حرفِ الجزاء ﴿إِذٗا﴾:

حَرْفُ ﴿إِذٗا﴾ في قوله: ﴿إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ جَزاءٌ لِلْمَنْفيِّ، لا لِلنَّفْيِ في قوله: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾[3]، وبيانُهُ: أنَّه لمّا كان

الرّجلُ المؤمنُ يبالغُ بلطفٍ في إثباتِ الضّلال المبين لقومه

(1) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 422، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 15/ 18، والمراغي، تفسير المراغي: 22/ 154.

(2) ابن عثيمين، تفسير سورة يس، ص: 94.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 269.

الاستفهامُ الإنكاريُّ على معنى النّفي، بتقديرِ (لا أتّخذ من دون اللّه آلهةً): كان المنفيُّ هو اتّخاذ آلهةٍ من دون اللّه، فيكون ﴿إِذًا﴾ جزاءً للمنفيِّ، أَيْ: إنِ اتَّخَذْتُ مِنْ دونِ اللَّهِ آلِهَةً أَكُنْ في ضَلالٍ مُبينٍ، ونُكتةُ مجيءِ حرف الجزاء هنا: هو إقامة الحجّة على أنَّهم في ضلالٍ مبين بطريق الاستدلال؛ لإثارةِ تفكيرهم عن طريق الجزاء في الشّرط، لعلَّهم يؤمنون.

وذهب الرّضيُّ إلى أنَّ ﴿إِذًا﴾ ظرفُ الزّمان، وأصلها: (إذ)، حُذفت الجملةُ المضاف إليها، وعوّض عنها التّنوينُ، وفُتح اللّفظُ، ليكون في صورة ظرفٍ منصوبٍ، وقُصد جعلُه صالحا لجميع الأزمنة بعد ما كان مختصًّا بالماضي، وضُمِّن معنى الشّرطِ غالبًا، ليفيدَ ﴿إِذًا﴾ اقترانَ الزّمان بوقت الحدث الذي جاء في سياقِه، ويفيد كذلك الإشارةَ إلى أنَّ ما قبله سببٌ لِما بعدَه، وأنّ ما بعده نتيجةٌ لِما قبلَه، ليفيدَ أنَّ وقتَ اتّخاذ الآلهةِ مِن دون اللّه هو وقتُ الوقوع في الضّلال المبين، وهو ثابت ومستمرٌّ في جميع الأزمنة، وأنَّ هذا الاتّخاذ سببٌ في الوقوع في الضّلال المبين، والتّقديرُ: (إنِ اتّخذت مِن دون اللّه آلهةً إنّي في ذلك الوقتِ في ضلال مبين)، أي: أكون في ضلالٍ مبين، ليفيد بلازمِه أنَّ كلَّ مَن يفعلُ هذا الفعلَ فهو في ضلالٍ مبين في جميع الأزمنة، ويلزمُه جميعُ الأمكنة، فيدخل في الضّلال المبين قومُه دخولًا أوّليًّا.

فائدةُ (في):

تفيد (في) الظرفيَّةَ، بمعنى إحاطة الضّلال به كإحاطة الظّرف بالمظروف، إنِ اتّخذ مِن دون اللّه آلهةً، وفي هذا كلُّ تنفيرٍ مِن هذا الاتِّخاذِ.

دلالةُ تنكيرِ الضَّلال:

نُكِّر الضَّلالُ في قوله: ﴿ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾، ليفيد تهويلَ الضّلال الذي يقع فيه مَن يشركُ باللّه تعالى، أي: هو ضلالٌ ليس كأيِّ ضلالٍ، وهو واضحٌ عظيمُ الظّهور.

دلالةُ قولِهِ ﴿مُّبِينٍ﴾:

لمّا كان (مُفْعِلٌ) في قوله تعالى: ﴿مُّبِينٍ﴾ بمعنى (فَعيلٍ)[1]، كان المعنى: (إنّي إذًا لفي

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 267.

ضلالٍ بيِّنٍ واضِحٍ لا شُبهةَ فيه)، وفي هذا الوصفِ تحقيقٌ لإنكار الاتِّخاذِ في الآية السّابقةِ لا محالةَ، وفيه تعريضٌ بقومِه بأنَّهم في ضلالٍ مبين لأنَّهم اتّخذوا من دون اللّه آلهةً.

المشركُ بالله في أظـهـر الـضّـلال وأوضحِه

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والأربعون،
سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والأربعون، سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 47 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-731-00-9
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 47 : المجلد السابع والأربعون، سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-731-00-9
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0968178 بتاريخ 2025/01/23م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»